تفريغ شرح

كتاب الجامع

من بلوغ المرام

للإمام الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي
ابن محمد بن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية

فضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن هادي المدخلي

قام بها
فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

miraath.net
ميراث الأنبياء
www.miraath.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرسٍ في شرح:

كتاب الجامع من بلوغ المرام

ألقاه فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن هادي المدخلي

-حفظه الله تعالى-

ضمن الدروس العلمية المقامة بجامع الأميرة صيتة بمدينة جازان في

شهر جمادى الأولى عام أربعة وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ هجرية

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع.

الدرس الخامس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المتن:

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولجميع الحاضرين والحاضرات برحمتك يا أرحم الراحمين قال المؤلف عليه رحمه الله في كتاب الجامع:

بَابُ اَلرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ اَلْأَخْلَاقِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–"إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ " أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَلِابْنِ مَاجَهْ:مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ نَحْوُهُ

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–"لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–" اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ جَابِرٍ–رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ : "اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ، فَإِنَّ اَلظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اَلشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ–رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–" إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ: اَلرِّيَاءُ " أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه الأحاديث التي قرأها علينا أخونا جزاه الله خيرا كلها في باب الترهيب من مساوئ الأخلاق كلها واردة في ذم هذه الأمور أو التحذير منها، ولكن قبل أن نشرع فيها نكمل ما بقي معنا من أحاديث وكلام عليها في الباب السابق وهي :

أولا: حديث المقدام بن معدي كرب الذي وقفنا عنده ولما نكمله وهذا الحديث يقول فيه النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ)) فيه بعدما تقدم معنا بالأمس الحث على الاقتصاد في

المأكل والمشرب، حيث يكفي الثلث أكلًا، ويُبقي الثلث للشرب، ويبقي ثلثًا للنفس.

وفيه إرشاد إلى ما يحفظ الصحة، فإن التخمة سببها البُطَّنَة؛ كثرة الأكل هو سبب التخمة، وهذا يُعرض ابن آدم لإتلاف جسده، إذ المعدة بيت الداء والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أكل يأكل لقيمات مُسْتوفِزا؛ يعني في جلوسه يجلس مُسْتوفِزًا على قدميه، بل قال بعض الشُرّاح على أطراف قدميه ما يجلس متربعا، وذلك ليشبع سريعا إذا ضم فخذيه إلى بطنه شبع سريعا، وإن هو تربع أبطأ في الأكل.

وفيه بيان من النبي-صلى الله عليه وسلم-لكيفية حفظ الصحة حيث قال : ((بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْماتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ)) فيأكل ما يحصل له به القوة، لا ما يحصل له البُطْنة، بسببه والسمنة.

وفيه أيضا حث على البعد عن ما يتلف النفس، وفيه أيضا ذم للشره وأنه شر، الشره والنهم في الأكل.

و أما حديث أَنَسٍ-رَضِيَ اَللهُ تعالى عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ -صلى الله عليه وسلم- ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ)).

فيه إخبار منه -صلى الله عليه وسلم- بهذه الصفة اللازمة لابن آدم ألا وهي الخطيئة وقد أكده بلفظ كل الذي لا يخرج عنه فرد من أفراده، قال ربنا -جل وعلا-: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[ص:73] فأكده بلفظين من ألفاظ التوكيد كل وأجمع؛ فنفى احتمال أن يخرج فرد منهم لم يسجد لآدم -عليه السلام- فكل من ألفاظ الاستغراق والعموم كما هو مقرر في علم الأصول أصول الفقه.

وهنا قوله ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ)) دال على أن الخطيئة طبع لازم في بني آدم، وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يؤكد هذا الأصل حيث قال: ((فَجَحَدَ آدَم فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّته وَنَسِيَ آدَم فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّته وَخَطِئَ آدَم فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّته)) فهذا دليل على أن بني آدم الخطيئة لازمة لهم، ولكن من رحمة الله -تبارك وتعالى- أن فتح لهم باب التوبة، فجعله مفتوحا لهم في كل حين، وهنا قد أشار إلى ذلك بقوله: ((وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ)) وانظروا إلى هذين اللفظين وتأملوهما، خَطَّاءٌ وخَطَّائين، ثم جاء بعد ذلك توابون، فهذه صيغة مبالغة؛ أي كثرة الخطايا في بني آدم طبعٌ لهم، طبعٌ لازم لهم، فقوله خطاء وخطائين صيغة مبالغة؛ أي كثيري الخطأ

والعصيان والذنوب، لكنه قابل ذلك بفتح باب التوبة فقال: ((وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ)) فدل ذلك أيضا على كثرة التوبة إلى الله -تبارك وتعالى- من هؤلاء الخيرين وهو دليل على أن التوبة حاصلة كلما حصل الخطأ ولو تكرر، ما دام يتوب فهي حاصلة، دليل على أن التوبة حاصلة من الله -تبارك وتعالى- لابن آدم كلما أخطأ إذا تاب يُتابُ عليه، وهذا من فضل الله -تبارك وتعالى-: ((يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ تُخْطِئُوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعَاً)) فانظر إلى سعة رحمة الله -تبارك وتعالى- حيث جعل باب التوبة مفتوحة، وحيث قبل ممن تاب ولو تكرر منه ذلك في اليوم مائة مرة، فإنه يتوب عليه -تبارك وتعالى-.

وفي هذا الحديث بيان أنه لم يُعْصَمْ أَحَدٌ مِنَ الخطأ، و أن الخطأ من طبيعة ابن آدم، وفيه أيضا مدح التوابين والله -سبحانه وتعالى- يحبهم كما قال : ﴿إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222] فمن تاب، تاب الله عليه ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّـهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور:31] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّـهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:8] ففيه مدح للتائبين المقبلين عليه -تبارك وتعالى- المعترفين بذنوبهم وفيه أيضا بيان

سعة رحمة الله -تبارك وتعالى- حيث يتوب على من تاب ((مَا أَصَرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)).

و أما حديث أَنَسٍ-رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((اَلصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُه)) أو ((اَلصَّمْتُ حِكْمٌ)) يروى بهذا اللفظ ((اَلصَّمْتُ حِكْمٌ)) بدون التاء ((وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ)) فهذا الحديث قد بين المصنف -رحمه الله- أنه الصحيح فيه الوقف، وليس هو من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فالرفع له إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وإضافته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تثبت والصحيح أنه أخبر به أنس عن لقمان وليس هو من قول أنس و إنما أنس -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- يخبر به من قول لقمان الحكيم، وله سبب وهو أن لقمان الحكيم رأى داود -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- وهو يفتل الدروع ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ:11] السابغات هي الدروع، فرآه وهو يفتل الدروع ويحسن حبكها، ولم يكن يعلم لما يصنع ذلك، وقد أعجبه هذا الصنع، ويروى أنه رأى ذلك منه سنة كاملة، وهو يريد في كل مرة أن يسأله لماذا عمل هذا العمل حتى كان ذات مرة من داود -عليه السلام-

وهو يفتل الدرع هذه التي بين يديه حتى أتقنها، فلما فرغ منها قال: "نعمةُ الدرع هذه" ويروى أنه لبسها ثم قال: "نعمةُ الدرع هذه" يعني هذه هي الطيبة للقتال، فقال لقمان هنا في ذلك الحين ((اَلصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُه)) من يصبر سنة على سؤال يريد أن يسأل ولكن يأخذه الحياء، الحياء لا عن العلم ولكن إجلالًا للمسئول وهو داود -عليه السلام-.

وهكذا كان حال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ كان يكون في نفس أحدهم المسألة فيستحي أن يسأل عنها، فيفرحون أن يأتي الرجل العاقل من أهل البادية فيسأل، لماذا؟ لأن الصحابة كانوا يجلون النبي -صلى الله عليه وسلم- ويهابونه ومن مهابتهم واحترامهم وإجلالهم وتبجيلهم وتوقيرهم إياه -صلى الله عليه وسلم- أنهم ما يكثرون عليه الأسئلة، فكانوا يتمنون ويحبون أن يأتي الرجل العاقل كما في حديث أنس في الصحيح من أهل البادية فيسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم يسمعون فيستفيدون، وذلك لأن أهل البادية فيهم جرأة ما هم مثل أهل الحاضرة فيهم جرأة، وفيهم أحيانا جفا، فتجد طلبة العلم و أهل الحاضرة فيهم رق الطبع ولين

كلام وخفض جناح بينما من تربى في البادية تجد فيه الغلظة والجفوة فأنس -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- وصف قال نحب أن يأتي الرجل هكذا الرجل مطلقا؛ قال لا العاقل من أهل البادية فيسأل ونحن نسمع فيفرحون بذلك، فقد فكانوا يهابونه ويجلونه -صلى الله عليه وسلم- وقد نهوا عن كثرة السؤال للنبي -صلى الله عليه وسلم- خشية أن يُـحَرَّمَ الشيء بسبب هذا السؤال ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كانَ قَبْلِكُمْ كَثْرَةَ اخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)) ويروى ((سُؤَالُهُمْ وَكَثْرَةَ اخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)) ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، لَوْ قُلْتَهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لما اسْتَطِعْتم)) فكانوا يخافون ويهابون إجلالًا له وإضافة إلى هذا السبب الذي ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الشاهد لقمان الحكيم قال هذه المقالة، ويُروى أنه كما قلت لكم، قالها بعد مُضي سنة وهو ينظر إلى من؟ إلى داود -عليه السلام- ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ:10-11] فكان يجل داود -عليه السلام- ويهابه ويبجله لا يسأله دائما، فهذا الشيء الذي رآه تكرر أمامه كان يتمنى أن يسأل عنه لكن

يمنعه حكمته، كان رجلا حكيما، فجاء في يوم من الأيام جاءه الجواب بلا سؤال، إذ فرغ داود -عليه السلام- من فتل أو من حبك هذه الدرع حتى أتقنها ثم قام فلبسها يجربها ويختبرها، ثم قال نعمة الدرع هذه ففرح حينئذٍ لقمان وقال هذه المقالة ((اَلصَّمْتُ حِكْمَةٌ)) كما هو عندنا ((أو حِكَمٌ - جمع حكمة- وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ)) فذكَّرَ قليل لأنه هو الذي تصدر منه هذه الحكمة فالنظر إلى الفاعل أو حِكَمٌ وقليل فاعله ليعم الجمع، وفي هذا مدح للصمت وحث عليه ومدح لأهله وبيان أنهم قلة.

فالصمت حسن وممدوح، والمقصود بالصمت السكوت عن فضول الكلام، السكوت عن فضول الكلام الذي إن جاءك فيه جواب ما زادك وإن ذهب ما نقصك، فالمراد به عن فضول الكلام.

أما السكوت عن المحرم فلا تأمر ولا تنهى فلا يدخل في هذا الباب، فإن الله قد مدح الآمرين والناهين عن المنكر في كتابه -سبحانه وتعالى- وفي سنته -صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك الآيات التي ذكرناها بالأمس كقوله -تبارك وتعالى- : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَيُطِيعُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[التوبة:71]

والسكوت أيضا عن السؤال في تعلم ما يجب قبيح وليس بحسن، بل يجب على الإنسان أن يسأل عما يحتاج إليه من أمر دينه إذا توقف عليه السؤال.

وقد وردت أحاديث في مدح الصمت والسكوت عن فضول الكلام وعن ضاره من باب أولى وأولى فمن ذلك الحديث الصحيح المشهور للجميع عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((مَن كانَ يؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فلْيَقُل خَيرًا أو لِيَصْمُت)) فهنا أمر بقول الخير ونهى عن ضده أن يصمت، إذا لم يقل خيرا فلا أقل أن يسكت، ((فلْيَقُل خَيرًا أو لِيَصْمُت))، وعند البخاري وقد مر معنا أيضا ((مَنْ يَتَكَفَّلُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ فَرِجْيَيْهِ، أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ)) اللسان هو الذي بين اللحيين فالنبي -صلى الله عليه وسلم- جعل جزاءه الجنة وذلك لأن السيطرة على اللسان من الصعوبة بمكان، السيطرة على اللسان من الصعوبة بمكان وقد

جاء عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((مَنْ صَمَتَ نَجَا)) عند الترمذي وفي سنده ضعف، من صمت نجا.

وعن عقبة أنه سأل -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- النبي -صلى الله عليه وسلم- ((مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ)) يقول له النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سأله عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله :فأجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله ((أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ)).

وحديث معاذ جميعا نعرفه -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- الذي فيه قوله للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ((وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)) إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب وقد جمع في هذا الأئمة جموع حسان جميلة، ومنهم من أفرد هذه المسألة بالتصنيف ومن أحسن ما كُتِبَ فيها كتاب ابن أبي الدنيا الحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا القرشي -رحمه الله- المعروف بكتاب "الصمتُ وآداب اللسان" وهو مطبوع وحريٌّ بالمسلم أن يقرأ في مثل هذا الكتاب إذ ينتفع به نفعا عظيما "الصمت

وآداب اللسان" كتاب كامل في هذا وقد مدح الصمت العقلاء في نثرهم وشعرهم فمن ذلك :

إن اللسان عظيمٌ صغيرٌ جِرْمُهُ *** وله جُرْمٌ كبير كما قد قيل في المثل

ومن ذلك قول القائل :

وسمعك صن عن سماع القبيح *** كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح *** شريك لقائله فانتبه

والكلام في هذا كثير جدًا نظمًا ونثرًا لا يوفيه هذا المقام لو أفردناه كله فيه لا يوفيه بعض حقه ولعل في البعض كفاية وإشارة إلى ما تبقى، ومن أحسن ما يقال في هذا :

وإن بليت بشخص لا خلاق له *** فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

لا ترد عليه وليعلم أن قبيح ما يخرج من اللسان في جوانب منها قول الزور، ومنها شهادة الزور، ومنها الغيبة، ومنها النميمة، ومنها الحلف الغموس، ومنها المدح الكاذب، ومنها الطعن في الأنساب، ومنها السب

والشتم والفُحْشُ في الكلام، لا يتورع عن فاحشه، ولو لم يكن سبًا فإن من الكلام ما يستهجن العقلاء ذكره ولو لم يكن على سبيل السب والشتم إلى آخره، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعيننا وإياكم و سائر إخواننا المسلمين على أنفسنا.

شيخ، الله يحسن إليك هل ورد من هذا الحديث من طريق الصمت حلم؟

ورد ولكن ما هو بصحيح، الصحيح حكمٌ نعم والذي ورد في هذا اللفظ هكذا من قول لقمان لكن ليس بصحيح، الصحيح حكمٌ .

قوله: باب اَلرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ اَلْأَخْلَاقِ أو باب اَلترَّهَيبِ مِنْ مَسَاوِئِ اَلْأَخْلَاقِ، مساوئ الأخلاق قبائحُها وهذا تبويب عام يندرج تحته كل ما ذكر في هذه الأحاديث وما لم يذكر في هذا الباب.

وهي كثيرة جدًا وقد كتب في هذا الحافظ أبو بكر الخرائطي -رحمه الله تعالى- كتابا بهذا العنوان اسمه "مساوئ الأخلاق" عافانا الله وإياكم من ذلك، اسمه مساوئ الأخلاق كتب كتابين "مكارم الأخلاق ومعاليها" وكتب الكتاب الثاني "مساوئ الأخلاق" وكلاهما مطبوع قد

طُبِعَ مؤخرا ولله الحمد، هذا في مجلد وهذا في مجلد، ثم جاء في مجلدين ثم في عدة مجلدات على حسب حال المحققين كل واحد يزيد ويعيد،

فالحاصل اهتم السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- بهذا غاية الاهتمام وما ذلك إلا حرصًا منهم على جمع المساوئ لأنها محصورة يُسْتَطَاعُ الحصر لها، وأما الفضائل فكثيرة جدا فإذا حُصِرَ لك فقد سُلك بك الطريق الأقصر والأيسر فلأجل ذلك كتبوا في هذا الجانب الترهيب من مساوئ الأخلاق فكتبوا فيه مساوئ الأخلاق عياذا بالله من ذلك.

أول حديث فيه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ-صلى الله عليه وسلم-: ((إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ)) وهذا الحديث عند أبي داود وفي سنده ضعف، وكذلك عند ابن ماجه نحوه وفيه ضعف أيضا شديد فلا يتقوى به الحديث الأول، وبعض أهل العلم يحسن حديث أبي داود والصحيح أنه لا يصل إلى درجة الحسن.

والحسد ليس من صفات أهل الإيمان الذي أشار إليه هنا ليس من صفات أهل الإيمان وإنما هو من صفات مرضى القلوب عياذا بالله من ذلك.

أما الحسد الذي ورد مدحه أو الإذن فيه لا حسد إلا في اثنتين فالمراد به الغبطة والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير هذا هو المذموم، أن تتمنى أن تزول هذه النعمة عن أخيك المسلم في ماله، في أهله، في نفسه إذا رأيت عليه أثر نعمة الله حسدته عليها وتمنيت أن تزول عنه فهذا محرم، وأما أن تتمنى أن يكون لك مثل ما هو له فهذا الذي قال فيه النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسلَّطَه عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ -أو قال فهو ينفق منه بالليل والنهار- وَرجل آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا بين الناس أَوَيُعَلِّمُهَا الناس)).

فهذا الحسد هنا أن تتمنى أن يكون لك مثل ما هو بين يدي فلان فتفعل مثل ما فعل، وهذا الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- مادحا له ولصاحبه: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ

رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ)) فهذا هو الغبطة يغبطه على ما من الله به عليه فتمكن من البذل والإنفاق في سبيل الله وصلة الأرحام والعطف على الأقارب فهو يعطيهم ويواسيهم فهذا تمنى أن يكون له مثل ماله فيفعل مثل ما فعل قال النبي-صلى الله عليه وسلم- فهما هؤلاء في الأجر سواء هذا بأعلى المنازل وهذا معه، الثالث الذي هو في الحقيقة الثاني قال ((وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)) هذا ما منعه من أن يتصدق وينفق إلا أن الله لم يمن عليه بالمال فالله –سبحانه وتعالى-ألحقه بصاحبه لنيته الطيبة، وذاك ما منعه من الفساد والإفساد إلا أنه لم يقع بيده المال وإلا لفعل مثل فلان ولربما زاد، فألحقته به نيته فصار هؤلاء أربعة إنما الدنيا لأربعة هذا ومن لحقه في الصالح هذا ومن لحقه في الطالح.

فالحسد في الأول هو الغبطة تمني أن يكون مثل فلان فألحقه الله – تبارك وتعالى– به والحسد لا شك أنه مُهلك للإنسان إذ يأكل قلبه كمدًا وحسرةً فلا يزيد إلا هلاكًا لنفسه من دون أن يُهلك غيره ولن يرد من قضاء الله شيئًا، ولهذا قال: ((كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحُطَبَ)) فالإنسان يُهلك نفسه بذلك فيعود على نفسه ضرره عياذا بالله وقد نظم هذا المعنى الشاعر في الأبيات التي ربما يعلمها الكثير منكم وهي قوله:

اصبر على كيد الحسود ❊❊❊ فإنّ صبرك قاتله

كالنّار تأكل بعضها ❊❊❊ إن لم تجد ما تأكله

حتى تحولَ رمادا يأكل بعضها بعضا، هذا فيه الترهيب من الحسد عياذا بالله من ذلك وأنه خصلة ذميمة و إنما أهلك كثيرا ممن كان قبلنا الحسد عياذا بالله من ذلك ومن أول ما حصل حسد إبليس لآدم –عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام– ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:62] الآيات كما في الإسراء ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:76] حسد آدم على هذه المكانة العظيمة التي آتاه الله إياها فأعماه الله عن القول

بالحق فافتخر بعنصره وهو النار فرآها خير من الطين، والجهول الكذوب أغواه الله في هذا الباب، وإلا فالطين خير من النار إذ الطين من طبعه الركود والرزانة والثقل، والنار من طبعها الطيش، الطين عنصر حياة مادة حياة، والنار مادة إحراق، والطين يُنتفع به في أسباب الحياة في الزرع والبناء ونحو ذلك، أما النار فهي محرقة للزرع متلفة للبناء فلما كان كذلك صار فضل الطين على النار أظهر وبسبب الحسد عميَّ هذا العدو اللدود عن هذه المزايا التي هي موجودة في الطين وأعماه حسده عن البلايا التي هي في النار فافتخر بالمفضول ونسي ميزة الفاضل فذمه الله -تبارك وتعالى- بما نعلمه جميعا في كتاب الله -جل وعز- ويكفي في ذلك قوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف:18] نسأل الله العافية والسلامة، فأول ما وقع الحسد من إبليس لأبينا آدم -عليه الصلاة والسلام- ثم في ذرية آدم أول ما وقع في ابني آدم ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّـهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾[المائدة:27،28] الآيات، فلما قتله ماذا قال؟ ﴿فَبَعَثَ اللَّـهُ غُرَابًا يَبْحَثُ

فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[المائدة:31] وهذا يدلنا على أن الندم دائما ملازما للحُساد نسأل الله العافية والسلامة، مهما تظاهر غايته الندامة لن يرد من أمر الله -تبارك وتعالى- شيئًا عن المحسود، ففي هذا الترهيب والتحذير من الحسد، إذ هو من مساوئ الأخلاق ولا يقوم به إلا خبثاء النفوس ومن أعظم ما نختم به في هذا الجانب بغض اليهود وحسدهم لنبينا -صلى الله عليه وسلم- مع معرفتهم بأنه نبي حقًا كما جاء في حديث صفية بنت حيي بن أخطب مع أبيها وعمها حينما ذهبا إلى المدينة فنظرا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم عادا يحدث أحدهما الآخر آهو هو؟ فقال : نعم حيي، قال ما ترى؟ قال: عداوته ما حييت، عرف والله -سبحانه وتعالى- فد أخبر عنهم بأنهم ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:146] نسأل الله العافية والسلامة وهكذا كل من ركب باب الحسد فإنما يقتدي بهؤلاء الذين أخبرنا الله -سبحانه وتعالى- عن حالهم.

وأما الحديث الآخر هو عَنْ أنس -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ-صلى الله عليه وسلم-: ((لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ -يعني الذي يصرع الناس- إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ)) الغضب أيضا خلق رديء، خلق رديء، وقد عرَّفَهُ أهل العلم وأهل المعرفة بالنفس بأنه عرض يحصل للإنسان يتبع فوران دم القلب، عرض يحصل للإنسان تبعا لفوران دم القلب، يحمل صاحبه على الانتقام ممن ظلمه أو الذي اعتدى عليه ابتداءً، بعض العلماء قال هو فوران دم القلب لكن الصحيح أنه عرض يتبع فوران دم القلب حالة تعرض الإنسان بعدما يفور دم القلب والآن العوام باللهجة العامية حينما يحصل له ما يحصل يقول فلان فوَّر دمي بهذه اللهجة العامية فور دمي، يعني أزعلني و أغضبني بسبب أن القلب فار فيه الدم فتبعته هذه الحالة العارضة.

إذًا فالغضب هو حالة عارضة تتبع فوران دم القلب إما للانتقام أو لدفع المؤذيات، وهو خصلة كما قلنا ذميمة و النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ)) يعني القوي الذي يصرع الناس ((إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ)) هذا هو القوي حقيقة.

والغضب -حفظكم الله- قد جاء بيانه وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم- منه في غيرما حديث حينما قال في حديث سفيان عبد الله الثقفي حينما قال له -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- ((أَوْصِنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ)) فردد مرارا قال: لا تغضب وذلك لأن الغضب بابٌ يفتح على الشر -عافانا الله وإياكم- من ذلك، إذ يغلق فيه على عقل العاقل، الغضب يغلق فيه على عقل العاقل فلا يدري ما يقول ولا يبصر ما يفعل، وكفى بهذا ذما له، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد أخبرنا أن مصدر الغضب الشيطان فقال -عليه الصلاة والسلام-: ((وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ يعني الغضبان وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ)) يعني الغاضبة.

وذلك في الحديث الذي جاء في الصحيح من حديث سليمان بن صُرَدْ - رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- قال: ((اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ أَنْفَهُ يَتَمَزَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ -يعني كاد يتقطع- فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِنَ الْغَضَبِ))، جاء عند أبي داود الحديث من طريق آخر عن معاذ ولكنه منقطع الإسناد إذ هو من طريق

ابن أبي ليلى عن معاذ وابن أبي ليلي لم يدرك معاذًا -رضي الله تعالى عنه- قال فقال معاذ: ((مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ: " تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) وفي الصحيح ((إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللهِّ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) فما فيه ذكر لمن سألك ما هي، فذهب بها معاذ إليه فجعل يأمره بها ((أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَمَجْنُونًا تَرَانِي)) اذهب، قال: فَأَبَى وَمَحِكَ ؛يعني جادل ولج في الخصومة والمجادلة.

الشاهد أن النبي –صلى الله عليه وسلم- أخبرنا بأن الغضب جمرة في قلب بني آدم توقد، ومعلوم أن الجمرة لابد الذي عليها يفور الجمرة إذا وضعت عليها الإبريق فار غلى، القدر يغلي وهكذا.

فإذًا هو فوران القلب عرض يتبع هذا الفوران الذي يأتي في دم القلب فإذا فار دم القلب هاج الغضبان فجاءت فيه هذه الصفة عياذا بالله من ذلك، فهو هذا وصفه جمرة في قلب ابن آدم توقد، وقد أخبر -عليه الصلاة والسلام- بقوله: ((إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ

مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ- هذا إرشاد للعلاج أيضا- فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ)).

وجاء أيضا عنه-صلى الله عليه وسلم-من حديث عروة البارقي عن أبيه عن جده أيضا عند أبي داود وفي إسناده فيه ضعف أنه أرشد إلى أن يغتسل.

وجاء أيضا ((إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ)) وجاء ((فليَلْصَقْ بِالأَرْضِ)) فهذه أنواع من الأدوية والعلاجات للغضب أعلاها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وهذا أصح ما جاء في الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والله -جل وعلا- قد أرشد إليه بقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّـهِ﴾[الأعراف:200] الآيات في موضعين من كتابه، فهذا أعلى شيء يقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" ومناسبتها ما دام الغضب أصله من الشيطان ونحن لا نراه ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:27] فلما كنا لا نراه والغضب هو مصدره ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ

أَزًّا﴾ [مريم:83] لما كان كذلك ناسب غاية المناسبة أن نستعيذ بالله الذي يراه فيعصمنا منه لأننا لا نراه من أين يأتينا وهو قد أقسم ﴿ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:17] فلما كان هذا العدو هو مصدر الغضب ونحن لا نراه ففي غاية المناسبة أن نستعيذ بالله الذي يراه -سبحانه وتعالى- فيعصمنا منه.

فمن قال "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" يذهب عنه ما يجد بإذن الله وعلى المسلم أن يستجيب لمن ذكَّره بذلك كما في حديث سليمان بن صُرد -رضي الله تعالى عنه- فينبغي للمسلم أولًا أن يتباعد عن أسباب الغضب، لكن إن بُلِيَ به فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وعليه إذا كان قائما أن يجلس فإذا ذهب عنه وإلا فليضجع لم؟ لأنه حينئذٍ تحصل الفرصة لمن أغضبه فيهرب ويفلت من بين يديه، لو كان قائما صكه صكة مغضب فربما قلع عينه أو أهلكه لكن يجلس، لأنه إذا جلس ربما تكون له فرصة فيهرب فينجو بنفسه، وتسلم أنت من تبعات الغضب، وكذا إذا لم يذهب عنك الغضب فَاضَّجِعْ لأنه إذا كان القائم متهيئ للانتقام فعليك أن تبتعد

عن هيئة الانتقام فتجلس، فإذا ما ذهب عنك ذلك فعليك أن تضعف الاستعداد للانتقام فتلصق بالأرض تضَّجعْ ولا تستجيب للشيطان فتكون ممن صدق عليه: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:64] الآية، فلا تجبه إلى ذلك وإلا فقم وتوضأ واستعذ بالله -سبحانه وتعالى- فإن الماء يطفئ هذه الجمرة التي تتوقد في قلبك كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وحديث البارقي الذي سمعتم قال: أغضب رجلٌ معاوية - رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ - وقد كان على المنبر، فلما غضب نزل من المنبر ثم ذهب إلى البيت فاغتسل ثم عاد ثم قال:سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وذكر الحديث، والحديث فيه ضعف، المهم أن العلاجات للغضب متعددة ومنها هذا الذي ذكرنا والعلم عند الله -تبارك وتعالى- وفي هذا الحديث مدح لمن يملك نفسه عند الغضب وأنه هو القوي حقا وفيه الترهيب من الغضب.

وأما حديث اِبْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اَللهُ تعالى عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)) الظلم من مساوئ

الأخلاق والنفوس مفطورة عليه، والمحمود من لجم نفسه في هذا الباب في هذا الجانب، فكسر هذه الغريزة وذلك بذكره لله -تبارك وتعالى- ((يا عِبَادِي إِنِي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا))، ففي هذا تحريم للظلم وترهيب منه لأنه ليس من صفات المؤمنين وإنما هو من صفات المتجبرين وجزاؤه أن يكون ظلماتٍ على صاحبه يوم القيامة، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن اعتدى على أخيه فأخذ شيئا من ماله فإن هذا من الظلم، ومن اعتدى على أخيه المسلم فأخذ شيئًا من حقوقه فهذا من الظلم، من اعتدى على أخيه بأن اغتابه فهذا من الظلم، من اعتدى على أخيه المسلم بأن قذفه فهذا من الظلم، من اعتدى على أخيه المسلم فسبه وشتمه فهذا من الظلم، والشاهد الظلم ظلمات بعضها فوق بعض إما أن يكون بسبب الاعتداء عليه في نفسه، أو الاعتداء عليه في أهله، أو الاعتداء عليه في ماله أو الاعتداء عليه في عرضه، هذا هو أن تعتدي على أخيك المسلم إما في نفسه، أو في ماله، أو في أهله أو في عرضه، الأهل والمال ظاهر، والأهل ظاهر والعرض يشمله ويشمل أهله إذ العرض عرفه العلماء بأنه موضع المدح والذم من الإنسان، فإذا مدحته في

شخصه هذا مدح، إذا طعنت فيه في شخصه هذا ظلم، إذا طعنت فيه في عرضه في أهله فهذا أيضا في عرضه هذا ظلم، لو قذفته في أهله أعوذ بالله بالزنا ما هذا في عرضه؟ هذا في عرضه لكن ليس في شخصه إنما هم في أهله الذين هم محل السمعة الطيبة والسمعة الحسنة تلحقه بسببهم،

فإذاً العرض هو محل المدح والذم من الإنسان هذا هو تعريفه .

فإذا طعنت فيه مثلا بأنه -أكرمكم الله وأجلكم جميعا والسامعين- بأنه كذاب هذا طعن في ذاته، طعنت فيه بأنه ديّوث هذا طعن في أهله لكنه يعود إليه هو، فإذًا يكون الذم والمدح في الإنسان من هذا الباب في العرض فإذا كان في أهله فهو عرضه وإذا كان في نفسه فهو عرضه.

فالعرض هو موضع المدح والذم من الإنسان؛ فإذا ظلمته في نفسه، أو ظلمته في ماله، أو ظلمته في أهله، أو في عرضه هذا كله من الظلم - نسأل الله العافية والسلامة- والنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بأنه ظلمات هذه اللفظة المراد بها الترهيب والتحذير من الظلم، وذلك لشدة العقوبة فيه عند الله يوم القيامة، واسمعوا من أنواع العقوبات فقط: ((مَنْ ظَلَمَ مِنْ الْأَرْضِ شِبْرًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ)) يكون حوله طوقٌ -

نسأل الله العافية والسلامة- هذا شديد ولا ما هو بشديد؟ شبر من الأرض يعود سبعة أشبار فيكون ظلمات ولا لا؟ ما هو واحدة ظلمات سبع ولا لا؟ سبع، شبر واحد يظلمه من أرض أخيه يزحزح الحجر يزحزح الحديد علامة الأرض فيدخلها قليلا داخل أرض أخيه فيقتطع منه مثلا شبرا فيقتطعه من الأرض العليا إلى أسفل الأرض السابعة سبعة أشبار طوقه من سبع أراضين يوم القيامة هو واحد لكنه عاد سبعة فصار من ظلم واحد إلى ظلمات متعددة يلقى الله بها يوم القيامة، وهكذا لو ظلمه في عرضه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ البُهْت أن تقول فيه ما ليس فيه، تكسب أنت الشيء وترميه عليه أو تقول فيه ما ليس فيه، أنت تكسب الجرم وتقول ما عملت هذا عمله فلان فيؤخذ فلان، ويصدقك الناس فيظلم بسببك، رميت به البلى احتملت البهتان والإثم العظيم -نسأل الله العافية والسلامة- بخلاف ما لو قلت فيه ما يكرهه في حال غيبته، من الأخلاق والأعمال التي هي فيه؛ يعني لو وصفته مثلا بالكذب لو كان حاضرًا ما تكلمت بذلك فلما غاب تكلمت، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((قَالَ

أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ)) إذا ذكرته بما فيه فهو الغيبة وأما إذا لم يكن فقد بهته، تكسب البهتان أنت وترميه به فتحتمل بهتانا وإثما مبينا -نسأل الله العافية والسلامة-.

فالظلم عاقبته وخيمة عند الله -جل وعلا- فإذا لم تُعَجَّلَ العقوبة لصاحبه في الدنيا شُدِّدَت له يوم القيامة، وفي هذا الحديث التحذير من الظلم -نسأل الله العافية والسلامة- وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم- ذلك في الحديث الثاني حينما قال: ((اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ)) يعني اجعلوا بينكم وبينه وقاية فتحذروه ولا تقعوا فيه.

الأسئلة:

السؤال:

هذا يقول أنا مقبل على سفر إلى بلدي وفيه كثير من الفتن - يعني في بلده - ومنها الاختلاط وما أريد السؤال عنه هو هل يجوز لي المصافحة

والحديث مع زوجة خالي وبنت خالي وبنت العمة، وما واجبي تجاه من يفعل ذلك، ما نصيحتكم لي؟

الجواب:

أولا: نحن نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقك في سفرك وأن يسهل لك الأمر.

ثانيا: أقول إن كان السفر إلى بلدك هذا الذي وصفت أن فيه كثيرًا من الفتن ومن هذه الفتن الاختلاط، وقد وصفت قبل بكثير ولا ندري ما هي فأقول يا ولدي أيها السائل إن كان سفرك لابد منه فسافر وتحرز لنفسك، وإلا فلا تسافر إلى بلد تكثر فيه الفتن، وأقم هنا والله -سبحانه وتعالى- يسهل لك الأمر.

لكن إن كان ولابد من السفر فاحترز بقدر ما تستطيع من الفتن وانْأَ بنفسك عنها واستعذ بالله -جل وعلا- منها، وابتعد عن أماكن الاختلاط والزم أهل الخير والصلاح من إخوانك وأهل الفضل وأهل الدين وطلبة العلم إن كان في بلدك منهم أحدٌ يوجد فالزم هؤلاء والزم مجالسهم تغنم وتسلم بإذن الله -تبارك وتعالى-.

أما مصافحة زوجة الخال وبنت الخالة وبنت العمة والحديث معهن فهذا لا يجوز، الحديث إذا احتجت للحديث لأمر ضروري فلا بأس بشرط أن يكنَّ مستترات وأن لا يخضعنَّ في القول، إذا احتجت لا بأس بشرط ما سمعت أن يكنَّ مستترات ولا يخضعن في القول فيفتن الذي في قلبه مرض، أما المصافحة فلا تجوز بحال من الأحوال للمرأة الأجنبية عنك.

وأما واجبك تجاه من يفعل ذلك فالواجب عليك أن تنصحه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71].

فالواجب له عليك النصيحة لأن الدين النصيحة، والواجب أن تبين له أنك تحب له الخير لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) وهذا أخوك المسلم فتحب له الذي تحب لنفسك، والذي تحبه لنفسك السلامة والنجاة فتحبها

لأخيك المسلم وتبين له ذلك، وتظهر أنك مشفق عليه، رحيم به، ممحض للنصح له، تخاف عليه الهلاك.

السؤال:

هذا السؤال عبر الشبكة يقول أحسن الله إليكم ما حكم حلق الذقن يعني الـلِّحية أو تقصيره أو تحديده جزاكم الله خيرا ؟

الجواب:

حلق اللحية لا يجوز، حلقها حرام النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى)) ، ((أَرْخُوا اللِّحَى)) ، ((خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى)) فحلق اللحية هذا فيه تشبه بالمشركين، والمشركون هنا هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، وليس يعني هذا أنه إذا وجد الآن آحاد منهم وفروا لحاهم أنَّا نسوي مخالفة لهم فنحلق لحانا، لا قد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- الأصل الذي جاء فيه سبب هذا الحديث وهو أن هؤلاء يحلقون لحاهم، وكذلك فارس كانوا يحلقون لحاهم، ويرخون شواربهم يطيلونها فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أمرنا بذلك.

فإذا وفروا فقد عادوا إلى الفطرة وعادوا إلى طريقتنا نحن التي هي الفطرة، فالشاهد لا يجوز حلق اللَّحية المسمى بحلق الذقن.

وأما تقصيرها فكذلك لا يجوز وهو أخف من إزالتها بالكلية لأن الإزالة بالكلية تشبه بهؤلاء وهو تشبه أيضا بالنساء لأن الله -جل وعلا- كرم الرجال بهذه الخصلة فيهم ألا وهي اللحية وهي دالة على الفحولة وعلى الذكورة فالذي يزيلها قد تشبه بالنساء نسأل الله العافية والسلامة، فإزالتها خطره عظيم ومنكر عظيم والأخذ منها محرم لكن لا شك أنه أخف من الأول إذا الأول لم يبقَ للرجولة علامة في وجهه، وزاد على ذلك اليوم أنهم يحلقون شواربهم ولحاهم نسأل الله العافية والسلامة، وهذا تشبه بالكفار الغرب، الغرب هؤلاء عُرِفَ فيهم وأول ما عُرِفْ كما يقال في الفرنسيين ثم بعد ذلك دخل إلى بلاد المسلمين من بلاد المغرب ثم جاء أيضا من بلاد العجم فدخل من جهة بلاد الروم على بعض البلدان العربية فجاء إلى بلاد الشام وحصل هذا الذي حصل في هذا العصر الحديث نسأل الله العافية والسلامة.

فإزالة الشارب بالكلية مع اللحية أعظم وأعظم جرما لأن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: ((جُزُّوا الشَّوَارِبَ)) ما قال احلقوا ما قال – صلى الله عليه وسلم– احلقوا وعند الإمام مالك إزالة الشوارب مُثْلى تمثيل الإنسان يمثل بخلق الله عنده فيه تعذير، فكيف به الآن وقد أصبح كثير من الناس يحلق شاربه ولحيته وأصبح أحلس أملس ما ترى فيها من آثار الرجولة شيئا وإذا رأى صاحب اللحية الذي هو على السنة والفطرة التي كان عليها من كان من العرب على حالهم في الجاهلية شفت إذا رآك قال يا دجل يهزأ بك يعني كأنه هو على الجادة فانعكست القضية أي نعم فهؤلاء نسأل الله لهم العافية والسلامة، فلا يجوز للمسلم أن يفعل هذا أيها الأخ السائل

السؤال:

هل التحذير من الغيبة يدخل في الغيبة ؟

الجواب:

لا التحذير من أهل الباطل ليس من هذا الباب ولا يدخل في الغيبة

الْقَدْحُ لَيْسَ بِغِيبَةٍ فِي سِتَّةٍ ... مُتَظَلِّمٍ وَمُعَرِّفٍ وَمُحَذِّرِ

وَمُجَاهِرٍ فَسَقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ ... طَلَبَ الإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرِ

القدح يعني الغيبة، القدح في الناس

هؤلاء الستة لا يعد الكلام فيهم غيبة،

- المتظلم: يقول ظلمني فلان يروح عند القاضي يقدم له معروض يشتكي هل يمكن يصل إلى حقه إلا بأن يقول ظلمني فلان ما يمكن إلا أن يقول هذا فهذا قاله على سبيل التظلم.
- والـمُعَرْف: الذي يعرف بالناس فلان بن فلان ما عرفوه يقول يا شيخ كيف يغيب عنك جار بني فلان الأعور هو يحب أن تقول إنه أعور؟ ولو كان ما يحب أنك تعرفه بهذا فالتعريف به لا يعد غيبة الأعرج الأخل الألثر الأشل الأصم وهكذا ما يحبه هذا، لكن التعريف به اقتضته المصلحة والحاجة الناس ما يعرفونه إلا به، فربما أصبح لقبًا في أسرها بيت الأصم بيت الأعرج وهكذا فهذا لا يعد غيبة وإن كان صورته الظاهرة غيبة لكن قاله الناس لحاجتهم إليه.

- والـمُـحَذِرْ: رآك تمشي مع فلان وهو يعلم فلان قال أنا أشوفك رايح جاي مع فلان عسى أن تشاركه في التجارة إن شاء الله قال والله إنك أصبت الحقيقة نحن نتشاور إن شاء الله في مشروع نبغي أن نقيمه أنا وإياه، قال له احذر منه ترى هذا لا يصلح خئون هذا من باب النصيحة محذر يحذرك نصيحة ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)) يعني حكام المسلمين وعامتهم وهذا من عموم المسلمين، أخوك إذا رأيته وهو ينخدع بشخص وأنت تعلمه لابد أن تحذره .

- ومجاهرا فسقا: هذا الرابع الذي يجاهر بالمعاصي كل واحد في الحارة أو القرية أو البلد يعرفون أن هذا مجرم من أصحاب الحشيش والمخدرات ومن أصحاب الفسق والفجور يُعرف هذا عنه، فأنت حينما تحذر من هذا الذي قد جاهر بالفسق لا تعتبر مغتابا له وإنما تحذر لأن النصيحة أوجبت عليك أن تحذر من لا يعلم حال هذا الإنسان فهذا من النصيحة التي تؤجر عليها.

- ومستفت: تأتي إلى المفتي العالم فتقول أيها الشيخ إن أبي قد فعل وفعل وفعل أو أخي قد فعل وفعل وفعل مما ليس له فعله فيك فهل يجوز هذا شرعا؟ يفتي حينئذٍ المفتي.

قالت هند بنت عتبة -رَضِيَ اَللهُ عَنْهَا- أم معاوية :يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي .فقال لها النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيْكَ وَوَلَدَكِ)) فهي ذكرت أبا سفيان -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ- بشيء فهل يحب الرجل أن يوصف بأنه شحيح أو بخيل، وفي رواية مِّسِّيك يعني بخيل فقال لها خذي هذا ما هو استفتاء جاءت تستفتي قالت ما يعطيني وماله عندي في البيت أنا زوجته تستطيع أن تأخذ وهو رجل ما يعطيني الذي يكفيني وصفته بالبخل فهذا الوصف هنا ليس بغيبة لأنه جاء في مقام الاستفتاء البلوغ والوصول إلى حكم يجوز ولا ما يجوز فأفتاها النبي -صلى الله عليه وسلم-.

- ومن طلب الإعانة في إزالة منكر: يعني أن يسأل يأتي إلى الهيئات أو من بيده الحل والعقد والأمر والنهي فيقول عندنا أناس فجرة الآن أزعجونا بالخمر والأغاني أو، أو، أو، فيصفهم بهذا الوصف لم؟ يريد إزالة هذا المنكر الذي أعلنوه فهذا يطلب الإعانة في إزالة المنكر وليس هو بغيبة وإن كان ظاهره غيبة فلا يدخل في الغيبة المذمومة.

السؤال:

وهذا السائل جاء يمشي وحقه أن نكرمه الآن يقول ما معنى السلام عليكم وهل هو خاص بالبشر ؟

الإجابة:

نقول السلام عليكم مشتق من اسم الله السلام، سلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة فتدعو بالسلامة من الله الذي هو السلام – سبحانه وتعالى– للمُسَّلَمِ عليه "السلام عليكم" فدعوت له بالسلام "ورحمة الله" دعوت له بالرحمة "وبركاته" دعوت له بالبركة وهذه فيها ثلاثون حسنة وليس هو خاص بالبشر.

السؤال:

يقول يُرمى العلماء الصالحون بلقب مرجئة الحكام فما سبب هذه التسمية؟

الجواب:

هذه يرميهم بها من ركب مذهب الخوارج لأنهم لا يكفرون الحكام بسبب المعاصي أو الفسوق أو ما يرون أنه من المنكرات وأن الحكام قد أقروه ولو لم يعلموا به، هكذا كما يقولون فيرونك أنت حينما تنكر عليهم هذا فتقول هذا ليس من الطريق الشرعية الطريقة التي كان عليها أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلف الأمة الصالحين قالوا أنت مرجئ مع الحكام، يعني ما تكفرهم، تكفرهم بالمعاصي؟ هذا لا يجوز ما يجوز التكفير بالمعاصي ليس هو من سمت أهل الإيمان وإنما هو من سمت أهل البدع وعلامات أهل البدع الخوارج، أما الحاكم ما دام يصلي ويقيم الصلاة ويأمر بالصلاة فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أمرنا بالصبر عليه وإن جاروا وظلموا وإن ضربوا الظهر وأخذوا المال بل قال النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما سئل ((أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَمْنَعُونَا حَقَّنَا

وَيَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ؟ -يعني من السمع والطاعة فيه أبلغ من هذا يا أخوتي في الصحيح أبلغ من هذا الحديث- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)) وذلك لأن في مطالبة كل واحد منا بحقه من السلطان يورث هذا الفوضى فتختل الأمور ويتزعزع الأمن فأمرنا أن نتنازل عن المصلحة الخاصة والحق الخاص في تحصيل المصلحة العامة الأكثر من هذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم- بالسمع والطاعة للحكام وإن جلدوا ظهورنا وإن أخذوا أموالنا، أموالنا نحن الخاصة مالك ورثته من أبيك عن جدك كابر عن كابر أو اشتريته بحر مالك أخذه منك وجلد ظهرك قال الرسول-صلى الله عليه وسلم- ((وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)) ولم يرخص إلا في حالة واحدة بالخروج عليهم متى؟ إذا أعلنوا الكفر البواح، ويروى براح، والبراح قال الحافظ ابن حجر: البراح هو الأرض المستوية التي لا يحجبك فيها عن الشيء ورؤيته شيءٌ يعني الكفر واضح ما فيه شبهة تراه رأي العين ما فيه شبهة تمنع من التكفير ويقوم به أهله.

هذا يجوز لك حينئذ الخروج ومتى؟ إذا توافرت العدة وانتفى المخوف وهو الشر أن تكون عندنا القوة ما نخرج مثل ما خرجوا في بعض البلدان فأهلكوا أنفسهم هذا ما هو خروج على الكافر، لكن أنت ما تستطيع ما لك به قدر ولا قوة صحيح يجوز لك عليه أن تخرج شرعا إذا وصل إلى الكفر، لكن انظر أنت في العواقب هل تكون إزالته بشر أخف مما هو حاصل منه أو بأكثر أو بمساوي فإن كان بأكثر ولو كان كافرا حرم وعليكم أن تصبروا وتعدوا العدة، وإن كان بأقل جاز الخروج بل وجب في حينه إذا كنتم تستطيعون إزالته هذا الكافر، وأما إذا تساوى فهنا محل اختلاف العلماء فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ))

أحبتي: هذه نصوص النبي -صلى الله عليه وسلم- يجب أن تكون على الرأس والعين نقول سمعنا وأطعنا ولا تملكن العواطف العواصف، ما من إنسان إلا وفي قلبه يناله شيء من الحاكم لكن العاقل هو الذي يتنازل عن الخاص لبقاء المصلحة العامة الآن أضرب لكم مثالا ينزع دارك

من هذا الطريق نزعا وتعوض عليه بالمال وأنت لا تريد أموال الدنيا كلها ما تريد إلا هذه الدار، فيقال هذه مصلحة عامة العقلاء كلهم يلومونك يقولون هذا مصلحة عامة الحمد لله قد أرضوك فكيف بما هو أعظم من هذا.

إن الخلافة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دان كم يدفع الله بالسلطان معضلة في ديننا رحمة منه ودنيانا لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا يقوله عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالى- فالواجب علينا أن نتقيد بخطاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأن نبتعد عن العواطف العواصف.

وأسأل الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا وإياكم جميعا الفقه في دينه، والبصيرة فيه، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاكم إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على

الرابط www.miraath.net وجزاكم الله خيرا.